

الإدارة في الفكر الإسلامي

الدكتور / صالح بن علي أبو عرّاد (*)

مقدمة

تُشير معظم الكتابات والدراسات العلمية الحديثة إلى أنّ بداية نشأة مفهوم الإدارة يرجع إلى بداية ظهور النهضة الصناعية التي عرفها العالم في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي . وعلى الرغم من شيوع ذلك ، إلا أنّ هذا لا يعني أنّ مفهوم الإدارة أو القيادة لم يكن معروفاً قبل ذلك التاريخ ؛ فقد عرفت البشرية عبر تاريخها الطويل نماذجاً وأنماطاً مختلفة من فنون وأمثلة الإدارة والقيادة؛ فمنذ أن خلق (الله تعالى) الإنسان وهو يقوم بممارسة مفهوم الإدارة بصورة عفوية ، حيث كان يقوم بتولي إدارة شؤون حياته الخاصة من أجل توفير ما يحتاج إليه من الطعام، والشراب ، والكساء ، والمأوى، مُعتمداً في ذلك على ما وهبه (الله تعالى) من قوى ، وقدرات ، ومهارات . ومع مرور الزمن ، وتطور أنماط الحياة ، وظهور الأنظمة الاجتماعية المختلفة " أخذ مفهوم الإدارة في التوسع بشكلٍ تدريجي بحيث أصبحت الأنظمة والقوانين التي وضعها الإنسان هي التي تُدير شؤون الأسرة، وتضبط أفراد المجتمع . ثم أخذ مفهوم الإدارة في التوسع مع ظهور العديد من الحضارات القديمة التي تركت لنا الكثير من الآثار والدلائل التي تُثبت بما لا يدع مجالاً للشك أنّ الإدارة من خلال الأنظمة والقوانين التي وضعها الإنسان في ذلك الوقت كانت لها اليد الطولى في قيام تلك الحضارات وازدهارها "(1).

وعندما جاء الإسلام ديناً منقداً للبشرية مما كانت فيه من جهالة وضلال ؛ جاءت تعاليمه وتوجيهاته بنظامٍ إداريٍّ متميز ، وفكرٍ قياديٍّ فريدٍ لم تعرفه كثير من الدُول والحضارات التي جاءت قبله . ولا ريب في أن يكون النظام الإداري من منظور الإسلام متميزاً عن غيره من الأنظمة في الحضارات الأخرى ؛ فهو نابعٌ من المصدرين الخالدين للشريعة الإسلامية السمحة " القرآن الكريم ، والسُنّة النبوية المطهرة " ، وقائمٌ على أساس متين من القيم الأخلاقية الكريمة التي سادت المجتمع الإسلامي الأول .

وبما أنّ الفكر الإداري في الإسلام ينبع من تعاليم ومبادئ الدين الإسلامي الحنيف فهو - بلا شك - فُكرٌ يهتم بكل ما يحتاج إليه الفرد والمجتمع في ضبط وتنظيم وتوجيه وإدارة أنشطة الحياة المختلفة ، وما ذلك إلا لأنه فُكرٌ مستنبطٌ من تعاليم وتوجيهات الدين الإسلامي الصالح لكل زمان ومكان ، لا سيما وأنّ هذا الفكر تميّز باهتمامه وتركيزه على البعد الأخلاقي الذي يُعدُّ بُعداً اجتماعياً هاماً وفاعلاً في نجاح النظام الإداري في الإسلام ؛ وتميُّزه عن غيره من الأنظمة الإدارية في الحضارات الأخرى . وفي هذا البحث سوف يتم تسليط الضوء على ما يلي :

- مفهوم الإدارة وأهميتها في الفكر الإسلامي .
- أهداف ومعالم النظام الإداري في الفكر الإسلامي .
- خصائص وسمات النظام الإداري في الفكر الإسلامي .

(*) أستاذ مساعد بكلية المعلمين في أبها - السعودية.

(1) عبد الله بن عبد الرحمن الفايز : الإدارة التعليمية والإدارة المدرسية ، ص8.

- بعض النماذج الإدارية في الفكر الإسلامي سواءً في الصدر الأول من العهد الإسلامي ، أو في الأزمنة التي تلتها والتي حظيت باهتمام بعض رواد الفكر الإداري في الإسلام .
- أهمية تطوير النظام الإداري ووسائله في الفكر الإسلامي .
وفيما يلي تناولٌ مختصر لمحاوِر هذا البحث على النحو التالي :

أولاً : مفهوم الإدارة وأهميتها في الفكر الإسلامي

تختلف آراء الكُتَّاب والباحثين حول مفهوم الإدارة بصفةٍ عامة ؛ إذ أنّ تحديد مفهوم واحد للإدارة يُعد من الأمور التي يصعب الاتفاق عليها في وقتنا الحاضر . فهناك من يرى أنّ المقصود بالإدارة " الهيمنة على آخرين لجعلهم يعملون بكفاءة ، تحقيقاً لهدف موقوت منشود" (1) . وهناك من يرى أنّ الإدارة هي " المراحل أو الخطوات اللازمة لتحقيق هدف أو أهداف معيّنة من خلال التعاون والتنسيق بين الأفراد ، مع الأخذ بعين الاعتبار النواحي الاقتصادية والاجتماعية ، وكذلك القدرات والمواهب الإنسانية داخل المنظمة" (2) .

ومن الباحثين من يرى أنّ الإدارة بمفهومها العام تعني " القدرة على استخدام كافة الإمكانيات المادية والبشرية المتاحة بأقصى كفاية لتحقيق أهداف معيّنة" (3) . كما أنّ هناك من يرى أنّ " الإدارة هي العمليات - مثل التخطيط ، والتنظيم ، والتوجيه ، والرقابة - التي يُوجَّه إليها المدير من هم تحت إمرته ، لتحقيقها بوصفها هدفاً لإدارته ، وذلك بأعلى كفاءة وكفاية ، وأقل جهد ، وأكبر عائد" (4) .

وعلى الرغم من عدم اتفاق الباحثين والمهتمين بعلم الإدارة على مفهوم واحد ؛ إلا أنّهم يتفقون جميعاً على أنّ الإنسان هو المحور الرئيس والعنصر الأساس في العملية الإدارية . كما أنّ هناك شبه اتفاق على أنّ العملية الإدارية تتكون كما يُشير إلى ذلك معظم المهتمين بعلم الإدارة من أربع وظائف رئيسة هي: التخطيط ، والتنظيم ، والتوجيه ، والرقابة . ومع العلم بأنّه يصعب الفصل بين هذه العناصر إلا أنّه يمكن القول بأنّ العملية الإدارية تبدأ بالتخطيط ، فالتنظيم ، فالتوجيه ، ثم الرقابة . وهي عملياتٌ تتأثر وتؤثر في بعضها البعض .. وعلى أي حال فإنّ هذه الوظائف الأربع تُمثّل الأبعاد الرئيسية للعملية الإدارية في المنظمات التي تسير على نهجٍ إداريٍ سويٍ حسب اتفاق معظم رواد الإدارة" (1) .

وهذا يعني أنّه يمكن القول : بأنّ مفهوم الإدارة يعني مجموع العمليات التي تعمل على الإفادة من الموارد البشرية والمادية المتاحة ، والعمل على تنظيمها وتوجيهها لتحقيق الأهداف والغايات المنشودة منها بأقل الجهود والتكاليف الممكنة ، وبأكبر قدر ممكن من العوائد المادية والمعنوية .

(1) محمد بن عبد الله البرعي : مبادئ الإدارة والقيادة في الإسلام، ص13.

(2) عبد الله بن عبد الرحمن الفايز : مرجع سابق، ص13.

(3) أحمد إبراهيم أبو سن : الإدارة في الإسلام ، ص154.

(4) عبد الرحمن بن إبراهيم الضحيان: الإدارة والحكم في الإسلام ، ص19.

(1) فهد صالح السلطان: النموذج الإسلامي في الإدارة ، ص73.

وإذا كان هناك خلاف آخر حول تطبيق هذا المفهوم من حيث اعتبار الإدارة علمٌ أو فنٌ ؛ فإنَّ " الرأي الذي أجمع عليه العديد من علماء الإدارة هو أنَّ الإدارة علمٌ بقدر المبادئ والأصول المخططة والمتعارف عليها في أي عصرٍ من العصور .. ولكنها أيضاً فنٌ بقدر مقدرة الأفراد القياديين في تطبيق تلك المبادئ والأصول على مر العصور " (2) . والمعنى أنَّ الإدارة تجمع بين كونها "علمٌ" له أصوله ، وقواعده ، وأهدافه ، وأساليبه العلمية . وهي في الوقت نفسه "فنٌ" يعتمد كثيراً على مدى التطبيق العملي للمهارات ، والقدرات ، والخبرات الشخصية بأكثر قدرٍ من الفعالية .

أما مفهوم الإدارة في الفكر الإسلامي فينطلق من تعاليم الدين الإسلامي الحنيف ، ومبادئه السمحة ، ويستمد أهدافه وغاياته من مصادر هذا الدين الرئيسة المتمثلة في كتاب الله العظيم ، وسنة رسوله الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم. ولذلك فهو مفهومٌ متميزٌ في مصدريته وغايته ؛ إلا أنه لم يخرج عن إطار المفهوم العام المتفق عليه بين علماء الإدارة ، وهو ما أشار إليه أحد الباحثين بقوله:

" ولم تخرج الإدارة في الإسلام عن هذا المفهوم ، فقد أخذت من العلم والفن القيادي في صدر الإسلام ، بل سبقت دولاً أرضيةً كثيرةً في تطبيق الفكر الإداري " ثم يضيف قوله : " وكان الفكر الإداري الإسلامي يستند إلى نصوص القرآن الكريم وتوجيهات السنة الشريفة ، ويقوم على أساس من القيم الإنسانية التي كانت تسود المجتمع الإسلامي في ذلك الوقت ، تلك القيم التي لا يزال الفكر الإداري المعاصر يلهث للوصول إليها ولكنه يعجز ؛ لأنه لا يهتدي بشريعة سماوية تتصف بالكمال والشمول والحق " (1).

وإذا كانت الإدارة تهتم في عصرنا الحاضر بتنظيم مختلف الأنشطة البشرية الجماعية ، وتقوم بمهمة التخطيط المُسبق لها ، وتحرص على تنسيق هذه الأنشطة وتوجيهها خلال فترة تنفيذها ، وإخضاعها للرقابة اللازمة حتى تتم بنجاح وتُحقق أهدافها المنشودة من خلال العمليات السابقة وغيرها من العمليات الأخرى التي قد تدعو الحاجة إليها ؛ فإنَّ من يُقَلِّب صفحات تراثنا الإسلامي الخالد ، يُدرك تمام الإدراك أنَّ الأمة الإسلامية عبر تاريخها الطويل الحافل بالكثير من الإنجازات والأحداث العظيمة ، قد قامت بكل ما يعرفه عالمنا المعاصر من العمليات الإدارية وطبقتها في مختلف المجالات الحياتية ، بصورٍ متعددة ، وأنماطٍ مختلفة ، أثبتت من خلالها نجاحاً متميزاً ، وفكراً إدارياً غير مسبوق . وإذا كان هناك من يزعم " أنَّ وظائف الإدارة بمسمايتها الحديثة كالتخطيط ، والتنظيم ، والتوجيه ، والمتابعة ، والرقابة ، وإدارة شئون الأفراد والمال والموارد لم تكن تُسمى بنفس المسميات ؛ ولكن العبرة بأنَّ الإدارة في الإسلام كانت تطبق كل تلك العمليات تطبيقاً أفضى بها إلى تكوين مجتمع الكفاية والعدل في عهد الرسول (صلي الله عليه وسلم) ، وعهود الخلفاء الراشدين من بعده . وتكوين مجتمع الكفاية والعدل وهو أسمى غاية لأية نظرية إدارية في هذا الوجود ، ولأي فكرٍ إداريٍ على هذه الأرض ، ذلك المجتمع الذي يتميز بعلائق المحبة والثقة والإيثار بين أفرادهِ " (1).

(2) حسب الرسول حسين أحمد : الإدارة العامة في الإسلام، ص24.

(1) أحمد إبراهيم أبو سن : مرجع سابق ، ص22-23.

(1) المرجع السابق ، ص154-155.

وهنا يمكننا القول : إنّ المقصود بمفهوم الفكر الإسلامي هو مجموع الآراء، والمبادئ، والأفكار، والنظريات العقلية؛ المستمدة من توجيهات وتعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

أما أهمية الإدارة في الفكر الإسلامي فتنتقل من كون تعاليم وتوجيهات الدين الإسلامي الحنيف توجب الأخذ بمبادئ الإدارة في تسيير أمور الجماعة المسلمة، ولعل خير دليل على ذلك ما روي عن الرسول (صلي الله عليه وسلم) أنّه قال : " لا يحل لثلاثة يكونون بفاة من الأرض إلا أمروا عليهم أحدهم "(2). كما روي عنه (صلي الله عليه وسلم) أنّه قال : " إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا عليهم أحدهم "(3). والمعنى كما يُشير إلى ذلك أحد المهتمين بعلم الإدارة يتمثل في " أنّ هذا الحديث يدل دلالة واضحة على ضرورة القيادة والتنظيم، وهي من المبادئ الأساسية للإدارة "(4). وما ذلك إلا لأنّ توافر القيادة الإدارية يعني الحفاظ على تماسك المجتمع، ووحدة الرأي، واجتماع الكلمة، والتعاون على البر والتقوى لتحقيق مصالح الأمة المسلمة .

ثانياً : أهداف ومعالم النظام الإداري في الفكر الإسلامي

(أ) أهداف النظام الإداري في الفكر الإسلامي

انطلاقاً من كون الأهداف في أي نظام اجتماعي تعتمد اعتماداً مباشراً على مصادر هذا النظام؛ فإنّ أهداف ومقاصد النظام الإداري في الفكر الإسلامي هي نفسها أهداف ومقاصد الدين الإسلامي الحنيف، التي يمكن تحديدها في ما يُسمى بالضرورات الخمس التي يرى جمهور الفقهاء أنّ أحكام الشريعة الإسلامية تدور حولها، وهي كما يذكر أحد الباحثين على النحو التالي :

- 1 - حفظ الدين : حفظ دين الله والقيام التام على إقامته أصل من أصول الإدارة في الإسلام، وذلك بتنفيذ أوامر الله وتحكيم شرعه على كل المستويات، وفي كل الظروف.
- 2 - حفظ العقل : من أهداف الإدارة في الحكومة الإسلامية الحفاظ على عقول الناس مما يُسيء أو يؤثر فيها من أسباب مادية أو معنوية فكرية .
- 3 - حفظ النفس : من أهداف الإدارة الإسلامية الحفاظ على النفس من القتل بدون سبب، ويتم ذلك بتطبيق شرع الله عن طريق القصاص، قال تعالى : (ولکم فی القصاص حياة یا أولی الألباب لعلمکم تتقون) "سورة البقرة : آية 179".
- 4 - حفظ العرض "الشرف" : على الإدارة الإسلامية وهي تتبع وتنتقل من مقاصد الشريعة أن تُحافظ على شرف وكرامة الأمة بسلوك وإتباع أخلاق الإسلام في التعامل مع جميع الأحوال والظروف.

(2) رواه أحمد، ج 2، الحديث 6647، ص 176.

(3) ابن خزيمة، ج 4، الحديث 2541، ص 141.

(4) حسب الرسول : مرجع سابق، ص 26.

5 - حفظ المال : من مسؤولية الإدارة الإسلامية رعاية المال العام ، والمساعدة في الحصول عليه بالطرق الحلال ، وصرفه واستخدامه بالوسائل المشروعة التي أقرّها الإسلام⁽¹⁾.

وعلى الرغم من وضوح هذه الأهداف ومناسبتها لأخلاقيات وقيم المجتمع المسلم؛ إلا أنّ هناك من يرى أنّ أهداف النظام الإداري في الفكر الإسلامي لا تنحصر في حفظ هذه الضرورات الخمس التي دعت الشريعة الإسلامية إلى وجوب المحافظة عليها ، ولكنها تتجاوز ذلك إلى ما هو أكمل و أشمل فهي " لا تختلف عن أهداف المجتمع المسلم ، وتتلخص في عبادة الله في الأرض التي تأخذ أربع ظواهر هي :

(أ) تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في العبادات والمعاملات والأحكام .

(ب) عمارة الأرض التي فرضها الله على عباده ، والتي تتطلب بذل الجهد المادي والعقلي للاستفادة من ثروات الأرض والبحر .

(ج) خلافة الله في الأرض التي تتمثل في إقامة الحكم والإدارة العادلة ، وتنظيم العلاقات بين الناس .

(د) قيام مجتمع الكفاية والعدل للدولة الإسلامية كهدف نهائي ، ذلك المجتمع الذي يكون أفراداه مكتفين روحياً ومادياً ليتسنى لهم عبادة الله بحق⁽²⁾ .

وهنا يمكن القول : إنّ هذه الأهداف الأربعة تمتاز بالشمولية التي تكفل تسخير كافة أنواع النشاط البشري في المجتمع المسلم ليكون عوناً للإنسان على طاعة الله (الله تعالى) ، وعبادته والامتثال لأوامر الدين والبعد عن نواهيه .

(ب) معالم النظام الإداري في الفكر الإسلامي

يمكن تحديد المعالم الرئيسة للنظام الإداري في الفكر الإسلامي من خلال التصور العام للمجتمع المسلم الذي يقوم في الأساس على منهج الإسلام وشريعته السمحة الثابتة التي يعمل بها ويخضع لها كل فردٍ من أفراد هذا المجتمع ، ويُراعيها في كل شأنٍ من شئونه انطلاقاً من استشعار معنى قول الرسول (صلي الله عليه وسلم) : " أعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك "⁽¹⁾.

ولعلّ من أبرز المعالم الرئيسة للإدارة في الفكر الإسلامي ما أورده بعض المهتمين في علم الإدارة بقوله :

" للنموذج الإسلامي للإدارة العامة عدة معالم نورد أهمها فيما يلي:

- 1 - الارتباط الوثيق بقيم وأخلاقيات المجتمع الإسلامي .
- 2 - الاهتمام بتلبية حاجيات الفرد والمجتمع الإسلامي .
- 3 - الأخذ بمبدأ الشورى في تسيير وتصريف الشؤون العامة .

(1) عبد الرحمن الضحيان، مرجع سابق ، ص 61-62.

(2) أبو سن ، مرجع سابق ، ص 183.

(1) ابن أبي شيبه ، ج 7 ، الحديث 35697 ، ص 242.

- 4- القيادة في النموذج الإسلامي للإدارة العامة قيادة وسطية مؤسّسة على مقومات ذاتية ، سلوكية ، وقيادية .
- 5 - الرقابة الذاتية تحتل مكان الصدارة .
- 6 - النظر إلى المظالم ورد الحقوق إلى أهلها .
- 7 - الاهتمام بالوظيفة العامة ، والموظف العام من حيث الاختيار ، وتنمية القدرات .
- 8 - الاهتمام بالبيئات المحلية ، ووضع الأطر الإدارية لإدارتها وتنظيمها تنظيمياً لا مركزياً⁽²⁾ .

وهنا يمكن القول : إنّ معالم النظام الإداري في الفكر الإسلامي بصفة عامة توضّح وتؤكد أنّ الإدارة في الفكر الإسلامي تعتمد على أساسين متين من المبادئ والقيم الإنسانية النبيلة التي جاء بها الإسلام وحث على التمسك بها ، والعمل بموجبها في كل شأن من شؤون الحياة .

ثالثاً: خصائص وسمات النظام الإداري في الفكر الإسلامي :

يمتاز النظام الإداري في الفكر الإسلامي بعددٍ من السمات والخصائص التي تُميّزه عن غيره من الأنظمة الإدارية الأخرى التي عرفتها البشرية ، والتي أخفقت جميعها بدرجاتٍ متفاوتة في إيجاد النظام الإداري الناجح والمناسب لمختلف الظروف الزمانية والمكانية . ولعلّ من أبرز خصائص النظام الإداري في الفكر الإسلامي ما أشار إليه بعض الباحثين في هذا المجال وملخصه كالتالي⁽¹⁾ :

- 1- أنه نظامٌ رباني المصدر لأنه يستمد أصوله ومبادئه من المصادر الربانية للدين الإسلامي المتمثلة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .
- 2- أنه نظامٌ يهتم بالفرد والجماعة ، ويرتبط ارتباطاً وثيقاً بأخلاقيات وقيم المجتمع .
- 3- أنه نظامٌ يمكن تطبيقه بنجاح في مختلف المرافق الإدارية .
- 4- أنه نظامٌ عالميٌّ وشاملٌ لجميع الأنشطة البشرية في كل زمانٍ ومكان .

وانطلاقاً من كون النظام الإداري في الفكر الإسلامي يعتمد اعتماداً كبيراً على القائد الذي له أكبر الأثر في نجاح النظام الإداري وقدرته على التأثير في الآخرين ؛ فإنّ هناك عدداً من الخصائص التي لا بُد من توافرها في من يتولى مهمة القيادة الإدارية ، وقد أشار أحد الباحثين إلى " أنّ من أهم خصائص القائد الإداري المسلم ما يلي :

- 1- الفطرة السوية التي تفرض عليه أن يكون وسطياً في جميع أموره ، دونما تقصيرٍ أو مغالاة .
- 2- توحيد الجهود والعمل بروح الفريق منعاً لحصول الفرقة والشقاق .

(2) حسب الرسول حسين ، مرجع سابق ، ص 239-240 .

(1) عبد الرحمن الضحيان ، مرجع سابق ، ص 59-60 .

- حسب الرسول حسين ، مرجع سابق ، ص 28-29 .

- 3- الثقة وعدم الشك لتأكيد التأزر والتعاون بين القيادة والأتباع .
- 4- المحافظة على النظام والانتظام والحرص على تطبيقه في مختلف شؤون الحياة.
- 5- حب العمل والانتماء إليه وتحقيق الهدف المنشود منه .
- 6- حُسن الحكم والتواضع حتى تتحقق للقائد القدرة على رؤية الأشياء على حقيقتها.
- 7- الرحمة بالمرؤوسين ، ومحبتهم ، والعفو عند المقدرة عن المخطئ منهم .
- 8- الحزم والوسطية في التعامل لما في ذلك من الوسطية بين الشدة واللين .
- 9- الشجاعة ، والصبر ، وضبط النفس عند مواجهة المواقف الصعبة والأزمات⁽¹⁾.

وهنا يمكن ملاحظة أنّ هناك عدداً من السّمات والخصائص التي يميّز بها النظام الإداري في الفكر الإسلامي ، والتي أسهمت في نجاحه في حين فشلت كثيرٌ من أنواع وأنماط الإدارة المعاصرة على اختلاف مصادرها ومشاربها ، وتباين فلسفاتها ونظرياتها في الوصول إلى أهدافها المرسومة وغاياتها المنشودة . ولعل من أبرز هذه السّمات والخصائص ما يلي :

أولاً : المصدرية الربانية التي يستند إليها النظام الإداري في الفكر الإسلامي ، حيث أنه يستمد مصدريته من أصول ثابتة ومُستقرة تتمثل في الأصول الشرعية الخالدة " كتاب الله العظيم ، وسنة رسوله الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم " التي تحكم علاقة الإنسان بربه (تعالى) ، وعلاقته بمن حوله من كائنات ومكونات . وإلى ذلك يُشير أحد الباحثين بقوله : " تكمن قوة ومثانة النظرية الإدارية في الإسلام في كونها ثابتة ومستقرة ، وصالحة لكل زمان ومكان . وهي بهذا لا تتأثر بتغير الظروف السياسية والاقتصادية ، والمفاهيم الاجتماعية ؛ بل على العكس من ذلك فإنّ العقيدة الإسلامية نفسها توجّه هذه المفاهيم ، وتعمل على تكييفها بما يتلاءم والمبادئ الإسلامية العامة"⁽¹⁾ .

ثانياً : النظرة الشمولية التكاملية التي جعلت النظام الإداري في الفكر الإسلامي ينظر إلى جميع النشاطات البشرية نظرةً شاملةً متكاملةً تسعى إلى تسخير تلك النشاطات المختلفة في أي زمان ومكان لصالح الناس كافة على اختلاف بيناتهم وقيمهم وعاداتهم وهو ما لم تنجح في تحقيقه مختلف النظريات الإدارية المعاصرة، وقد أكّد هذا المعنى أحد الباحثين بقوله : " تميّز الفكر الإسلامي في مجال الإدارة العامة بالتكاملية والشمولية ؛ فالإدارة الإسلامية تنظر إلى المنظمة على أساس أنها جزءٌ من نظام اجتماعي شاملٍ تحكمه وتُنظمه مبادئ وعقيدة ثابتة ؛ فالأفراد في المنظمة الإدارية الإسلامية لا يجدون تعارضاً أو تضارباً بين ما يحملونه من مبادئ وقيم عقديّة ، وبين ما يُفرض عليهم من أنظمة إدارية في محيط العمل ؛ حيث أنّ كلاً منهما قائمٌ على نفس الأصول والمبادئ ، وهي إسلامية المنبع والأصل"⁽¹⁾.

(1) سالم بن سعيد الفحطاني: القيادة الإدارية .. التحوّل نحو نموذج القيادة العالمي، (د.ن) ، 2001، ص104-108.

(1) فهد السلطان، مرجع سابق ، ص158.

(1) حسب الرسول حسين ، مرجع سابق، 238-239.

ثالثاً : اشتراطها لمشروعية الهدف وسمو الغاية التي تميز النظام الإداري في الفكر الإسلامي عن غيره من الأنظمة الإدارية الوضعية المعاصرة التي تسعى جميعها إلى أن يكون لها هدفٌ واضحٌ ومحدد ؛ ولكنها لا تُعنى ولا تهتم بنوعية هذا الهدف ، ولا تحرص على مشروعيته " بينما لا يقتصر مفهوم التنظيم الإداري في الإسلام على تحديد الهدف فقط ؛ بل يشترط أن يكون ذلك الهدف هدفاً مشروعاً ، ولا يتعارض في أي حالٍ من الأحوال مع مبادئ الدين الإسلامي "(2).

رابعاً : عنايتها بالجانب الروحي للإنسان وهو الجانب الذي يُعد أحد الجوانب الرئيسة التي تتكون منها شخصية الإنسان ؛ إضافةً إلى الجانبين الجسمي والعقلي ، وبذلك تتكامل النظرة الإسلامية للشخصية الإنسانية في النظام الإداري في الفكر الإسلامي . وهو ما لا يتوافر في النظريات الإدارية المعاصرة التي تهتم في مجموعها بمختلف المتغيرات المادية سواءً كانت فرديةً أو اجتماعية ، زمانيةً أو مكانية ؛ ولكنها " لم تتطرق البتة إلى الناحية الروحية لدى الفرد ، فأغفلت أو تغافلت سهواً أو عمداً الزاوية الدينية ، والحالة النفسية لدى الفرد والجماعة . ولم تولها اهتماماً يُذكر رغم ما لهذه الناحية من عظيم الأثر في حياة الفرد والجماعة والمجتمع ككل "(3).

خامساً : اهتمامها الكبير بالجانب الأخلاقي الذي يُشير إليه أحد الباحثين بقوله " لقد أدخلت النظرية الإسلامية بُعداً اجتماعياً هاماً ومؤثراً على السلوك الإداري داخل المنظمة وهو البُعد الأخلاقي . فلا إدارة في الإسلام بلا أخلاق كما أنه لا يوجد مجتمع إسلامي بلا أخلاق "(1).

رابعاً : بعض النماذج الإدارية في الفكر الإسلامي :

انطلاقاً من اعتماد الفكر الإداري في الإسلام على ما جاء في كتاب الله العظيم من الآيات البيّنات ، وما أثر عن الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم من أقوالٍ وأفعالٍ وتقريرات ؛ إضافةً إلى مجموع أقوال وأفعال وآراء وتطبيقات السلف الصالح في هذا الميدان " فقد كانت الدولة الإسلامية في عهد الرسول (صلي الله عليه وسلم) والخلفاء والعهديين الأموي والعباسي تقوم بكل هذه العمليات مهتديةً بالفكر الإداري الإسلامي، وما خططه الرسول (صلي الله عليه وسلم) من سنةٍ وسلوكٍ ، وما اتبعه على دربه خلفاؤه الراشدون " (2). وفيما يلي عرض لبعض النماذج الإدارية في تاريخ الدولة الإسلامية سواءً في الصدر الأول من العهد الإسلامي ، أوفي الأزمنة التي تلتها والتي حظيت باهتمام بعض رواد الفكر الإداري في الإسلام على النحو التالي :

أ - الإدارة في العهد النبوي :

(2) فهد الشُّلطان ، مرجع سابق ، ص 98.

(3) محمد بن عبد الله البرعي: مبادئ الإدارة والقيادة في الإسلام، ص 17-18.

(1) أبو سن ، مرجع سابق، ص 171.

(2) أبو سن، مرجع سابق ، ص 23.

مما لا شك فيه أنه كانت للنبي محمد (صلي الله عليه وسلم) العديد من التراتيب الإدارية التي كان (صلي الله عليه وسلم) يقود بها مسيرة الأمة ، ويؤسس من خلالها منهجها الفريد ، فقد كان " دستور المدينة " عبارة عن إشارة واضحة إلى انتهاء عصر الفوضوية السياسية والإدارية ، وبداية عهد سياسي وإداري مُقنن يقوم على مبادئ ، ونظم ، وتشريعات مُحددة يخضع لها الجميع ، و تُنظم حياة ذلك المجتمع من كافة النواحي الاجتماعية والإنسانية والاقتصادية والأمنية .. الخ " (1). كما كان (صلي الله عليه وسلم) يعمل بمبدأ الشورى في كثيرٍ من الأمور التي لم ينزل عليه في شأنها وحْيٍ من الله تعالى امتثالاً لقوله تبارك و تعالى : (وشاورهم في الأمر) " سورة آل عمران : الآية 51 " . وقوله تعالى : (وأمرهم شورى بينهم) " سورة الشورى : الآية 38 " .

وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة ر أنه قال : " لم يكن أحدٌ أكثر مشورةً لأصحابه من رسول الله (صلي الله عليه وسلم) " (2). حيث كان الرسول (صلي الله عليه وسلم) يستشير بعض أصحابه الذين كانوا أهل رأيٍ سديد ومنطقي رشيد ، وبصيرة نافذة ، ويأخذ برأيهم في كثيرٍ من الأمور " ولقد قنن الرسول (صلي الله عليه وسلم) الشورى فكُون لها مجلساً من أربعة عشر نقيباً يختارهم من أهل الرأي والبصيرة ، ممن يُشهد لهم بالعقل والفضل ، وممن أبنوا قوة الإيمان والكفاية في بث الدعوة الإسلامية ، وقد كان اختيار النقباء مناصفةً بين الأنصار والمهاجرين حتى يكون القرار شمولياً يقبله الأنصار والمهاجرين " (3).

وكان (صلي الله عليه وسلم) يحرص وهو القائد الإداري الأول للأمة أن يكون قدوةً حسنةً في كل شأنه ، ولذلك فقد كان يأمر بالشيء ويُخطط له ثم يكون أول من يعمل به ويطبقه في واقع حياته ، ولعل خير مثالٍ على ذلك مشاركته (صلي الله عليه وسلم) لأصحابه في الغزوات والمعارك التي خاضوها مجاهدين في سبيل الله تعالى ، ومشاركته العملية في بناء المسجد وحفر الخندق ، وتفقدته (صلي الله عليه وسلم) للسلع والبيع والشراء في السوق .. إلى غير ذلك مما جاء في سيرته الشريفة (صلي الله عليه وسلم) .

وليس هذا فحسب فقد كان من أبرز تدابيره الإدارية (صلي الله عليه وسلم) بُعد نظره وحُسن اختياره لأصحابه عند توزيع المهام المختلفة عليهم ؛ فقد كان (صلي الله عليه وسلم) يُراعي الفروق الفردية بينهم ، ويُراعي اختلاف طاقاتهم وقدراتهم ومواهبهم ليكون الرجل المناسب في المكان المناسب - وما ذلك إلا ضماناً وحرصاً منه (صلي الله عليه وسلم) أن يؤدي كل فردٍ ما عليه من مهام ووظائف كأحسن ما يكون الأداء . وخير مثالٍ لذلك اختياره (صلي الله عليه وسلم) لأبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - وزبير بن عدي ، وحذيفة بن اليمان (رضي الله عنه) صاحباً للسر ، وزيد بن ثابت (رضي الله عنه) ترجماناً وكتائباً ، وخالد بن الوليد (رضي الله عنه) قائداً عسكرياً ، ومصعب بن عمير (رضي الله عنه) سفيراً ومعلماً لأهل يثرب قبل الهجرة ، وعثمان بن عفان (رضي الله عنه) مفاوضاً لقريش ، وعلي بن أبي طالب

(1) البرعي ، مرجع سابق، ص106-107

(2) الترمذي ، ج 4 ، رقم الحديث 1714 ، ص 213

(3) أبو سن، مرجع سابق ، ص60.

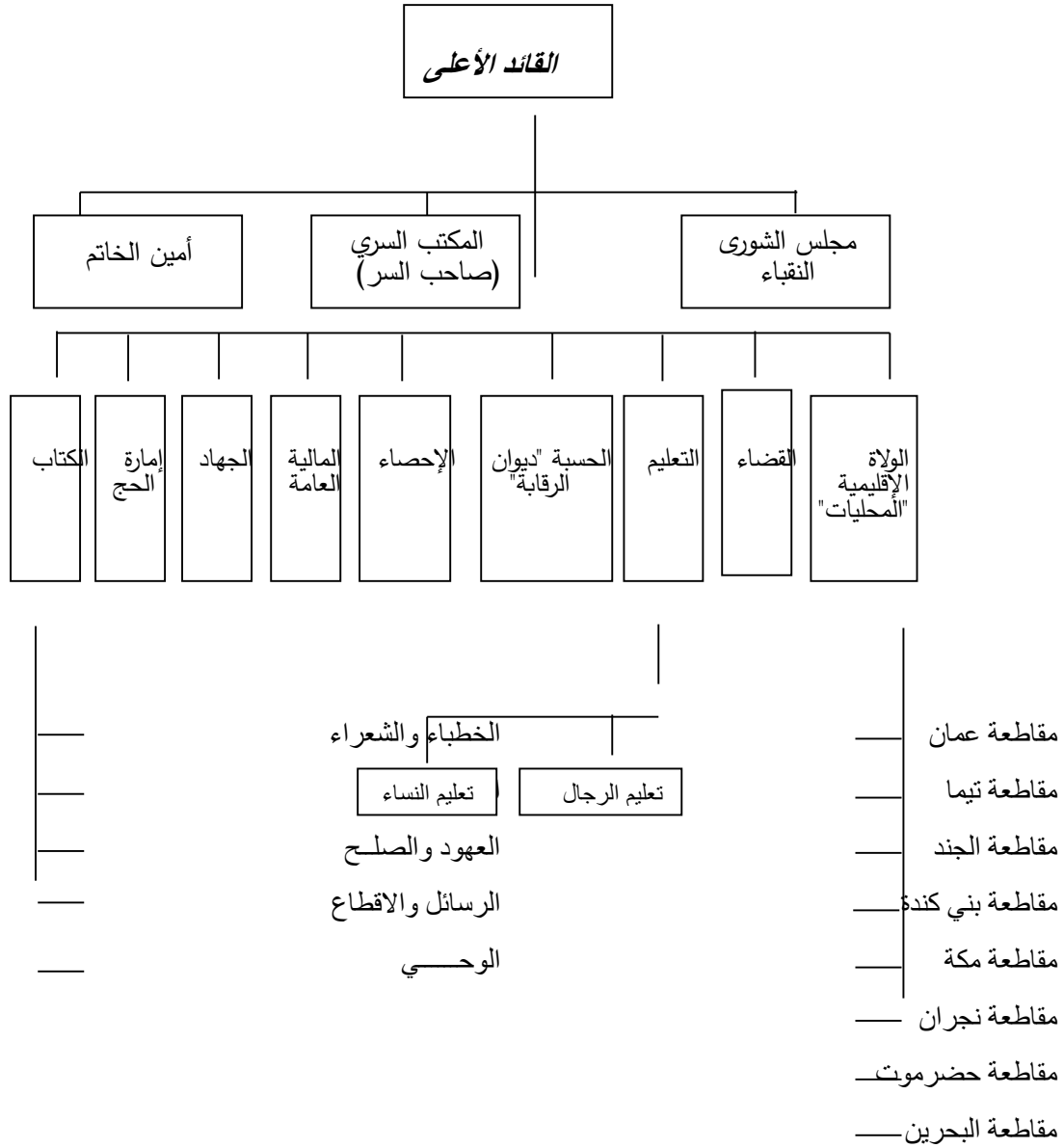
(وُضِيَ اللهُ عَنْهُ) كاتباً للعهود وحاملاً للراية يوم خيبر . وهكذا " عمَد (صلي الله عليه وسلم) إلى الذخائر البشرية وهي أكْداس من المواد الخام لا يعرف أحد غناها ، ولا يعرف محلها ، وقد أضاعتها الجاهلية والكفر والإخلاق إلى الأرض فأوجد فيها - بإذن الله - الإيمان والعقيدة ، وبعث فيها الروح الجديدة ، وأشعل مواهبها ، ثم وضع كل واحدٍ في محله فكانما خُلِقَ له، وكانما كان المكان شاغراً لم يزل ينتظره ويتطلع إليه" (1).

وأخيراً فإنَّ تخطيطه (صلي الله عليه وسلم) للمعارك والغزوات والسرايا ، وإدارته المباشرة لبعضها يدل دلالةً واضحةً على عبقريةٍ إداريةٍ فذةٍ ؛ فمرةً يقوم باستطلاع وتقصي الأخبار عن العدو ، ومرةً يقوم بمفاجأة العدو في عقر داره ، وتارةً بقطع طرق التجارة عليهم ، وأخرى بتفتيت جبهة الأعداء... إلخ . وفيما يلي رسماً توضيحياً للهيكل التنظيمي للنظام الإداري في الدولة الإسلامية في عهد النبي (صلي الله عليه وسلم) .

الشكل رقم (1)

الملامح الرئيسية للهيكل التنظيمي للدولة الإسلامية في عهد الرسول (صلي الله عليه وسلم)

(1) أبو الحسن الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص95



المرجع : كتاب : النموذج الإسلامي في الإدارة (منظور شمولي للإدارة) ، ص 111

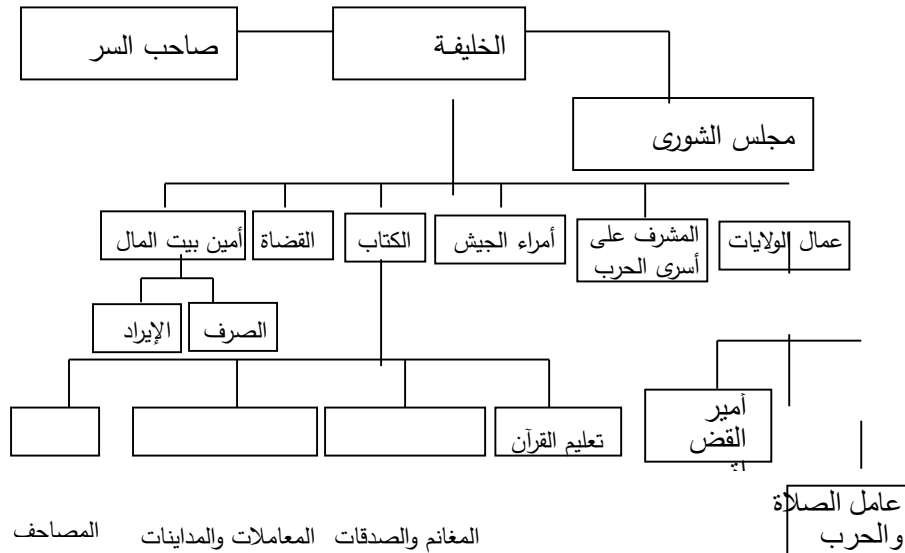
ب (الإدارة في عهد أبي بكر الصديق (رضيا لله عنه) :

سار التنظيم الإداري في عهد أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) على نفس المنهج الذي كان عليه في زمن العهد النبوي ، وعلى الرغم من قصر فترة الخلافة البكرية إلا أنها كانت فترة حافلة بالعديد من الترتيب الإدارية، فقد استجبت في المجتمع المسلم آنذاك بعض الأمور التي لم تكن من قبل ؛ فقد ظهر مبدأ إسناد الأعمال والمهام إلى المختصين مع مراعاة أن ذلك كان يتم تبعاً لما يتمتع به من يُسند إليه العمل من المعرفة والدراية " فقد تحددت سلطات الخليفة في إقامة العدل بين الناس، والأمن ، والدفاع ، وتعيين العاملين ، وتوزيع العمل بين الصحابة ومشاورتهم . فقد أسند القضاء إلى عمر .. كما أسند أمانة بيت المال إلى أبي عبيدة بن الجراح ، وأسند إلى علي الإشراف على أسرى الحرب "(1).

كما أن من الترتيب الإدارية في العهد البكري العناية باختيار ومراقبة العمال والولاة والقادة الذين يتم إرسالهم إلى مختلف الولايات التي كانت قد انتشرت في أرض الجزيرة العربية مع الفتح الإسلامي ، والحرص على نُصحهم وتوجيههم فقد روى الحاكم عن يزيد بن أبي سفيان قال : قال لي أبو بكر الصديق حين بعثني إلى الشام : " يا زيد ، إن لك قرابة عسيت أن تؤثرهم بالإمارة ، ذلك أكثر ما أخاف عليك . فقد قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) : من ولي من أمر المسلمين شيئاً فأمّر عليهم أحداً مُحاباةً ؛ فعليه لعنة الله ، لا يقبل الله منه صرفاً ، ولا عدلاً ، حتى يدخل جهنم "(2) . وفيما يلي رسماً توضيحياً للهيكل التنظيمي للنظام الإداري في الدولة الإسلامية في عهد أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) .

الشكل رقم (2)

الشكل التنظيمي للإدارة في الدولة الإسلامية في عهد أبي بكر الصديق



(1) أبو سن ، مرجع سابق، ص 29

(2) الحاكم ، ج 4 ، رقم الحديث 7024 ، ص 104

ج (الإدارة في عهد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه):

استمر النظام الإداري في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) على ما كان عليه في عهد صاحبيه ، إلا أنه (رضي الله عنه) أضاف إليه عدداً من الأجهزة الإدارية الأخرى نتيجة لما تم في عهده الميمون من فتوحاتٍ كثيرةٍ ، وانتشارٍ للدين الإسلامي ؛ الأمر الذي اتسعت معه رقعة الدولة الإسلامية فزادت المهام ، وعظمت المسؤولية تبعاً لذلك . ولعل من أبرز ملامح النظام الإداري في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أنه حافظ على مجلس الشورى بالصورة التي كان عليها قبل فترة ولايته " وكان عمر (رضي الله عنه) لا يقطع أمراً عظيماً من دون استشارة أصحابه ، ويقول : " الرأي الفرد كالخيط السحيل - أي الخيط غير المقنول - ، والرأيان كالخيطين المبرمين ، والثلاثة مرار لا يكاد يُنقض " . كما كان عمر (رضي الله عنه) يسأل الناس في المسجد عن آرائهم في المسائل العامة ، ثم يعرض رأيه ورأيهم على مجلس الشورى الذي يتكون في عهده أيضاً من أربعة عشر عضواً ، فإذا استقر رأي هؤلاء على أمر أمضاه " (1) .

كما أن من الأولويات التي حظيت باهتمام الفاروق (رضي الله عنه) في التنظيم الإداري إنشاؤه للدواوين التي لم تكن معروفةً عند أهل الجزيرة العربية من قبل ، والتي تُعد من أهم وأبرز الجوانب التنظيمية الإدارية في الدولة الإسلامية . والدواوين جمع " ديوان " ، ويُقصد به " موضعٌ لحفظ ما يتعلق بحقوق السلطنة من الأعمال والأموال ، ومن يقوم بها من الجيوش والعمال " (2) .

وكان (صلي الله عليه وسلم) قد استحدث هذه الدواوين عندما دعت الحاجة إليها مع اتساع رقعة الدولة الإسلامية ، وكثرة تدفق الأموال ، الأمر الذي دعا إلى توفير وسيلةٍ تكفل تنظيمها وترتيب حساباته إيراداً وإنفاقاً ، لذلك قام الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) " فأسس ديوان الخراج والأموال ، وديوان الإنشاء ، وديوان الجند الذي يتخصص في تنظيم الجند ، وفي صرف أعطياتهم في الأمصار التي يعملون فيها " (3) .

ويأتي من أبرز اهتمامات الفاروق (رضي الله عنه) بالنظام الإداري عنايته وحرصه على متابعة ومراقبة العمال والولاة الذين كان يستعملهم في الأمصار والبلدان ؛ حيث " كان الوفد (من الحجاج) إذا قدموا على عمر (رضي الله عنه) سألهم عن أميرهم ، فيقولون خيراً ، فيقول : هل يعود مرضاكم ؟ فيقولون : نعم ؛ فيقول : هل يعود العبد ؟ فيقولون : نعم ؛ فيقول : كيف صنيعه بالضعيف ؟ هل يجلس على بابهِ ؟ فإن قالوا لخصلةٍ منها : لا ، عزله " (1) . وكان (صلي الله عليه وسلم) يشترط في من يوليههم أو يستعملهم أن يكونوا في خدمة الرعية ، وألا يتميزون عنهم ، وأن يبذلوا ما في وسعهم لقضاء

(1) أبو سن ، مرجع سابق ، ص 70.

(2) أبو الحسن الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص 337.

(3) أبوسن ، مرجع سابق ، ص 77.

(1) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، م 2 ، ص 423.

حوائجهم ، حيث " كان عمر (رضي الله عنه) إذا استعمل عاملاً كتب له عهداً ، وأشهد عليه رهطاً من المهاجرين والأنصار ، واشترط عليه ألا يركب برذوناً " أي حماراً " ، ولا يأكل نقيّاً ، ولا يلبس رقيقاً ، ولا يتخذ باباً دون حاجات الناس " (2) .

كما أنه رضي الله عنه() ربما أخضعهم " الولاة والأمراء " للمساءلة العلنية ، والتحقيق معهم واستقبال الشكاوى من رعاياهم ، وفي هذا دليلٌ على مباشرته مهمة الرقابة الإدارية بنفسه فقد روي " أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب الناس يوم الجمعة، فقال: اللهم إني أشهدك على أمراء الأمصار أنني إنما بعثتهم ليعلموا الناس دينهم ، وسنة نبيهم ؛ وأن يقسموا فيهم فيئهم ، وأن يعدلوا ؛ فإن أشكل عليهم شئ رفعوه إليّ " (3) . وليس هذا فحسب فقد كان من أبرز اهتمامات الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في الجانب الإداري أنه وضع أصول النظام القضائي في الإسلام ، وقام بتحديد صفات القاضي في المجتمع المسلم ، إضافةً إلى أنه " فصل السلطة القضائية عن السلطة التنفيذية ، فعين قضاةً لفصل القضايا بين الناس مُستقلين تماماً عن ولاة الإمارات والولايات الإسلامية ، وكان القضاة مسئولين لدى الخليفة رأساً " (4) .

وهنا تجدر الإشارة إلى أن عناية واهتمام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بالنظام الإداري قد حظيت باهتمام الكثير من الباحثين والكتّاب في هذا الميدان حتى أن منهم من يرى أنه رضي الله عنه بما تميز به من نجاح إداري وقيادي يُعد " أبرز القادة المسلمين الذين ساهموا في تطور الفكر الإسلامي في القيادة الإدارية من خلال تبنيه أسلوب القيادة الحازمة في حياته وأثناء خلافته . لقد كان نمط قيادة الفاروق (رضي الله عنه) يقوم على الحزم الذي يعني الشدة في غير عنف ، واللين في غير ضعف " (1) وفيما يلي رسماً توضيحياً للنظام الإداري في الدولة الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) . (انظر الشكل رقم 3) .

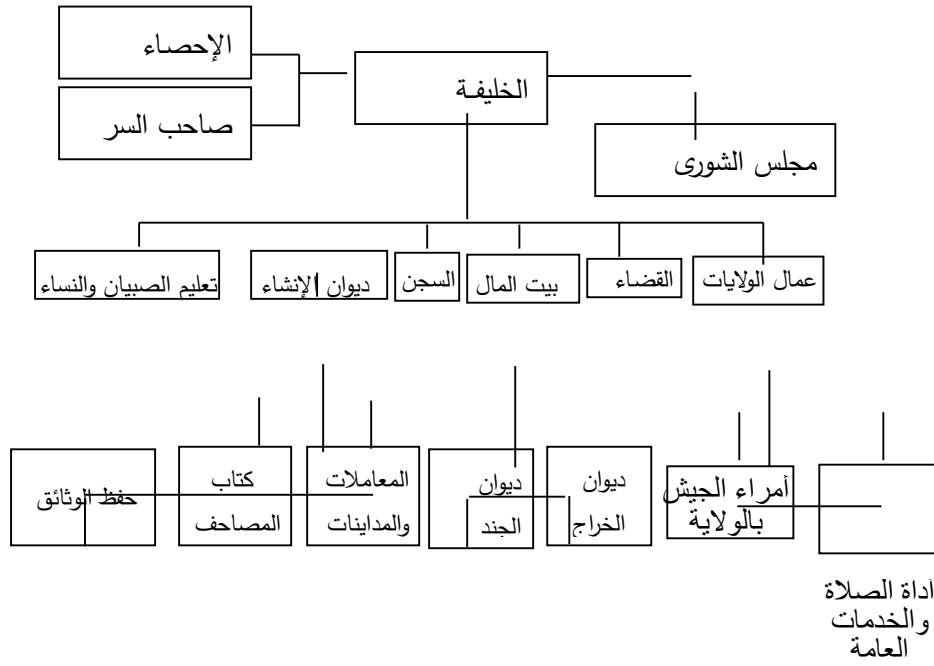
الهيكل التنظيمي للإدارة الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب

(2) نفس المرجع، ص414.

(3) نفس المرجع ، ص412.

(4) أبو سن ، مرجع سابق ، ص29.

(1) سالم القحطاني ، مرجع سابق ، ص96-79.



المرجع : كتاب : الإدارة العامة في الإسلام (الأصول والتطبيق) ،ص(95)

رواد علم الإدارة في الفكر الإسلامي

على الرغم من أنّ اهتماماتهم بهذا الجانب جاءت متأخرةً بعض الشيء ، إلا أنّ ذلك لم يفقدها أهميتها و لم يُقلل من أثرها البارز في إثراء قضايا الفكر الإسلامي من مختلف الجوانب . ولعل من أبرز الرواد الذين كان لهم اهتمام كبير بالجانب الإداري في الفكر الإسلامي هم أبو الحسن الماوردي ، وشيخ الإسلام ابن تيمية ، وأبو العباس القلقشندي ، وغيرهم من العلماء والفقهاء والمفكرين المسلمين ؛ إلا أننا سنقتصر في حديثنا على بعض الإشارات الموجزة لكل واحدٍ من هؤلاء الرواد الثلاثة على النحو التالي :

أولاً : أبو الحسن الماوردي " 370هـ - 450هـ " :

هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي ، كان من وجوه الفقهاء الشافعيين ، وصاحب منزلةٍ عند حكام عصره . له مصنفاتٌ كثيرة في الفقه ، والتفسير ، والأصول ، والأدب . وهو صاحب كتاب " الأحكام السلطانية والولايات الدينية " الذي يُعد أشهر الكتب التي بحثت وعنيت بالجوانب الإدارية في الفكر الإسلامي ، حيث اشتمل هذا الكتاب على عشرين باباً ، اهتمت بالعديد من الموضوعات التي يُعنى بها علم الإدارة المعاصر . ويُعد هذا الكتاب بمثابة الدستور العام للدولة حيث يُعتبر " المرجع الأول والأساسي لكل باحثٍ في أمور الإدارة الإسلامية والسياسة والحكم ، وهذا الحكم صحيح ولا مبالغة فيه فما من باحثٍ يبحث إلا ويرجع إلى كتب الماوردي الإدارية والسياسية وبخاصةً هذا الكتاب "(1).

(1) عبد الرحمن الضحيان، مرجع سابق، ص231-232.

وللماوردي كتب أخرى منها : كتاب " نصيحة الملوك " و " قوانين الوزارة وسياسة الملك " ، و " أدب الوزير " ، كما أن من كتبه المشهورة كتاب " أدب الدنيا والدين " الذي جمع فيه بين الأدب والمواعظ .

ثانياً : شيخ الإسلام ابن تيمية " 661 هـ - 728 هـ " :

هو أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحرّاني ، يعد أحد رموز الإدارة في الفكر الإسلامي حيث عُني بقضايا الإصلاح الإداري في الحكومة ، وله في ذلك رسالتان هما :

- رسالة " السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية " .
- رسالة " الحسبة ومسؤولية الحكومة الإسلامية " .

وقد اشتملت الرسالتان على الدعوة إلى إصلاح الإدارة الحكومية ، والحث على تخطيط وتنمية القوى البشرية والمادية التي يحتاجها المجتمع والتي لا تتم مصلحة الناس إلا بها . وقد أشار أحد الباحثين في علم الإدارة إلى أن " الإمام ابن تيمية قد تناول العمليات الإدارية المعروفة الآن " التخطيط ، والتنظيم ، والتوجيه ، والرقابة " وتحدث عنها ، ولكن بطريقة السلف التي تُشير إلى الأمر ، وتقصد المصلحة العامة ؛ دون ذكر أن الأمر فيه عمل أو عملية إدارية ، لكن من واقع الدراسة الحديثة يمكن للمهتم بهذا الأمر أن يستخرج هذه المعاني والمفاهيم الإدارية من فكر ابن تيمية ⁽¹⁾ .

ثالثاً : أبو العباس القلقشندي " 756 هـ - 821 هـ " :

هو أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي ، المؤرخ الأديب البحاثة ، شافعي المذهب ، ويعد رائداً من رواد علم الإدارة في الفكر الإسلامي بما قدمه من مؤلفات يأتي من أبرزها كتابه الشهير " صبح الأعشى في صناعة الإنشاء " بعد أن عمل في ديوان الإنشاء " أي ديوان الرسائل سابقاً " ، فاكنتسب الخبرة والممارسة العملية في هذا الميدان ، ويُمثل هذا المؤلف بشكلٍ عامٍ ما يُسمى بالإدارة المكتبية حيث أنه يُعد " موسوعةً ودائرة معارف بالنسبة لوظيفة الكتابة ومتطلباتها ، والتنظيم المكتبي وإجراءاته ، وتنظيم المكاتب وتصنيفها . وبنظرةٍ سريعةٍ لهذا المؤلف نجده قد تضمن كافة المجالات التي تعكس منهجه في دراسته والتي تُشابه إلى حدٍ بعيدٍ الدراسات المعاصرة في الإدارة المكتبية وأعمال السكرتارية ⁽¹⁾ .

أهمية تطوير النظام الإداري ووسائله في الفكر الإسلامي :

مما لا شك فيه أن النظام الإداري بعامته يتأثر كثيراً بما يشهده العالم بين حينٍ وآخر من تغيراتٍ عالمية ومحلية على مختلف الأصعدة ، وعلى الرغم من كون النظام الإداري في الفكر الإسلامي يعتمد ويستند على ما جاء به الدين الإسلامي الحنيف من مصادر وأصول ومبادئ أساسية تمتاز بثباتها وصلاحتها لكل زمانٍ ومكانٍ ؛ إلا أنّ هناك الكثير من التفاصيل والجزئيات ، من الوسائل ، والأساليب ، والكيفيات التي تتصف بالمرونة ، ولا تخضع لمبدأ الثبات لأنها تتأثر بالظروف والتغيرات والتحولات الزمانية والمكانية المختلفة فهي بحاجةٍ ماسةٍ للتطوير والتحسين المستمر لا سيما ونحن في عصر

(1) نفس المرجع، ص 245-246.

(1) حسب الرسول حسين ، مرجع اسبق، ص 31.

الثورة التقنية التي " تُشكل عمليةً تحويليةً تاريخيةً هائلةً ، ليس فقط في حقل التقنية والمعلومات ، وإنما في شتى الحقول والرؤى والأفكار والممارسات والاهتمامات . ويُشارك في هذا التغيير والانتقال جميع سكان هذا الكون من مختلف القارات بأدوارٍ مختلفة . وقد جعلت هذه الشمولية العالم يتحول إلى قريةٍ كونيةٍ تتسم بالتقارب والترابط والتداخل والتأثير المتبادل في جميع الأوجه ، مما فرض على المنظمات وقادتها على حدٍ سواء حتمية التأثير والتأثير ، وبالتالي حتمية التغيير بما يتفق مع النموذج العالمي في كل أوجه الحياة" (2) .

وهذا يعني أنّ النظام الإداري الأقوى هو النظام القادر على استيعاب كل جديدٍ ومفيدٍ ، وهو النظام القادر على تسخير كل معطيات العصر لخدمة أهدافه وغاياته . وانطلاقاً من ذلك كله فإنّ على النظام الإداري في الفكر الإسلامي أن يحرص على مهمة التطوير اللازمة لمسايرة ظروف وتحديات العصر ، وتلبية متطلبات المجتمع وحاجاته ، وأن يُعنى بوسائل التطوير لكل ما من شأنه التحسين والتجديد والابتكار والإبداع في مجال القيادة الإدارية والفكر الإداري الذي تدعو الحاجة إليه في المجتمع المسلم ، ولعل من أبرز وسائل التطوير الإداري المقترحة ما يلي :

- الاستفادة من المعطيات الحضارية والعلمية المعاصرة في الميدان الإداري ، و تسخيرها لخدمة القضايا والمستجدات الإدارية بما يتفق مع أهداف ومبادئ النظام الإداري في الفكر الإسلامي .

- توخي معايير الجدارة ، والكفاءة المهنية ، والسمات الشخصية ، واجتياز الدورات التدريبية فيمن يتم اختيارهم لشغل المهام المختلفة في النظام الإداري ، لاسيما وأنّ إهمال ذلك وعدم العناية به سيؤدي حتماً إلى الفساد الإداري والإضرار بالمصلحة العامة .

- الحرص على تنظيم وتفعيل الدورات التدريبية التي تشمل الجوانب المعرفية ، والقيمية ، والمهارية ، الكفيلة بتحقيق أهداف و منهجية النظام الإداري في الفكر الإسلامي المتطور في مختلف مجالات وميادين العمل التي يحتاجها الإداريون في المجتمع المسلم ، وتسهم في إعداد الطاقات البشرية المؤهلة ، وذات الكفاءة العالية .

- مراعاة حاجات ومتطلبات العاملين في المجتمع المسلم ، وتوفير الظروف المناسبة لهم والكفيلة بتشجيعهم وتحفيزهم على حب العمل ، وجودة الإنتاج .

- العمل على توجيه العلوم والمعارف بوجهٍ عام ، وعلم الإدارة بوجهٍ خاصٍ توجيهاً إسلامياً لتحقيق غايات وأهداف الإسلام ، واستخلاص المعايير الإلهية ، والسنن الكونية والاجتماعية التي توجّه البشر ، وتحكم تصرفاتهم وتنظم حياتهم .

المصادر :

- 1 - القرآن الكريم .
- 2 - أحمد بن محمد بن حنبل : مُسند الإمام أحمد ، مؤسسة قرطبة القاهرة "بدون تاريخ" .
- 3 أبو بكر بن أبي شيبة : مصنف ابن أبي شيبة ، تحقيق : كمال يوسف الحوت : مكتبة الرشد ، الرياض 1409 هـ .

(2) سالم القحطاني، مرجع سابق، ص111.

4- محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري : صحيح ابن خزيمة ، تحقيق : د محمد الأعظمي ، المكتب الإسلامي بيروت : 1390هـ - 1970م .

5- محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري .. تاريخ الأمم والملوك، م 2 ، ط3 ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، بيروت 1413هـ - 1992م .

6- محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ، . المستدرك على الصحيحين ، تحقيق : مصطفى عبد القادر ، دار الكتب العلمية بيروت 1411هـ - 1990م .

7- محمد بن عيسى الترمذي: سنن الترمذي ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي بيروت بدون تاريخ.

المراجع :

8- أبو الحسن الماوردي : الأحكام السلطانية و الولايات الدينية . من مطبوعات الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، الإدارة العامة للتوعية والتوجيه ، رقم الكتاب ، دار الكتاب العربي ، بيروت : بدون تاريخ .

9- أبو الحسن علي الحسيني الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، ط 8، دار نهر النيل ، 1409هـ - 1989م .

10- أحمد إبراهيم أبو سن: الإدارة في الإسلام . ط3 . الخرطوم : الدار السودانية للكتب الخرطوم 1404هـ - 1984م .

11- حسب الرسول حسين أحمد: الإدارة العامة في الإسلام - الأصول والتطبيق . دار النواذب للنشر والتوزيع . جدة 1416هـ .

12- سالم بن سعيد حسن القحطاني : القيادة الإدارية .. التحول نحو نموذج القيادي العالمي . " بدون مكان " ، 1422هـ - 2001م .

13 - عبد الرحمن بن إبراهيم الضحيان: الإدارة والحكم في الإسلام - الفكر والتطبيق . ط4 ، " بدون مكان " ، 1418هـ - 1998م .

14- عبد الله بن عبد الرحمن الفايز ، الإدارة التعليمية والإدارة المدرسية : مطبعة سفير ، الرياض 1413هـ .

15- فهد صالح السلطان : النموذج الإسلامي في الإدارة منظور شمولي للإدارة العامة مطابع الخالد للأوفست . الرياض ، 1412هـ - 1991م .

16- محمد بن عبد الله البرعي: مبادئ الإدارة والقيادة في الإسلام دراسة مقارنة نادي المنطقة الشرقية الأدبي ، الدمام 1414هـ - 1994م .

17 - محمود عسّاف : أصول الإدارة دار الناشر العربي القاهرة 1976 م .